في غطاء «وطني» يعوض عن اخلاء سيناء، من خلال توسيع «جبهة السلام». وكان يعني ذلك، عملياً، اطلاق حرب تهدف، اولاً، الى تدمير م.ت.ف. وقاعدتها الرئيسة؛ وثانياً، الى انهاك الادارة السياسية لاهل الضفة الغربية وقطاع غزة؛ واخيراً، الى اقامة سلطة صديقة في لبنان توقع على معاهدة سلام جديدة. وربما كانت القيادة الاسرائيلية ترغب، قبل اي شيء آخر، في ازالة خطر شعرت ان م.ت.ف. تشكله من خلال التزامها بالهدنات المسلحة وتمتعها بالرصيد الدولي الايجابي، مما جعل الاطراف الغربية تميل الى ادراج المنظمة كطرف مفاوض مسؤول؛ وقد نشأ ذلك الشعور في وقت قويت فيه الوساطة السعودية بين م.ت.ف. والادارة الاميركية، وابدى خلاله الجانب العربي مرونة دبلوماسية عالية؛ فأرادت اسرائيل ان تزيل خطر السلم، كما ارادت ان تفصل اكثر بين العرب واميركا.

يتجاوز سحلية احداث الحرب ذاتها، ولا يوجز نتائجها المباشرة الجسدية، بل يتطلع، على الفور، الى «ردود الفعل تجاه حرب لبنان» في فصله الثاني. ويمهّد استعراضه للمواقف الداخلية، والخارجية، للقوى الرئيسة بتأكيد حقيقة ان حجم ردة الفعل الاجمالية لم تكن بمستوى الحدث، من حيث نطاق العدوان ومدى التدمير والخسائر، فغاب الرد العربي السياسي، والعسكري، وخفتت الاصوات الاميركية والسوفياتية، بينما اهتزت الساحات الاوروبية والاسرائيلية اكثر! ويلاحظ المؤلف، اولاً، ان ظاهرة الاحتجاج ضد السياسة العسكرية الحكومية برزت في اسرائيل خلال الحرب؛ وهي ظاهرة ليست جديدة بالمطلق، ولم تتحول الى تيار جارف، لكنها عكست درجة متقدمة من الاستياء والضياع لدى قطاعات من الجمهور والجيش في اثناء القتال. وقد برزت شقوق في البنية الحزبية والسياسية الاسرائيلية ايضاً، بسبب الاختلاف حول اهداف الحرب وسيرها، كما تطورت ازمة ثقة ومصداقية بين الحكومة وبين الجمهور، وبين الوزراء انفسهم. واذا كانت آثار الحرب اقوى لدى الجمهور الاسرائيلي منها لدى الاوساط الرسمية العربية، فإن الفئة الثانية التي لم تفتها ابعاد ودلالات حرب العام ١٩٨٢ كانت فلسطينيي الارض المحتلة. واستجاب هؤلاء لاجتياح لبنان ومجازر المخيمات بتأكيد، بل وتعميق، تمسكهم بالمنظمة، لكنهم عانوا كذلك من شعور العجز والقهر، عززه الموقف العربي المتردي وخضوع م.ت.ف. للعزل الجغرافي، والامني. ولعل هذه هي قصة الارض المحتلة المستمرة والمؤسفة: فما زال اهل تلك الارض يؤكدون الولاء الوطني والمؤسسي، في وقت لا تلوح لهم الحلول القريبة المقبولة.

ويظهر مدى الاخفاق العربي، وحجم مسؤوليته عن المأزق الفلسطيني، في نظر سحلية، خلال مناقشته للردود العربية على العدوان الاسرائيلي. فهو يشير الى عدم قيام اية دولة عربية بتقديم غير الدعم اللفظي للمنظمة، باستثناء واحدة محدودة هي المشاركة السورية. وهو يضع «التقدميين» و «المحافظين» معاً في ملاحظاته؛ بل ويذهب الى حد التأكيد ان اضعاف م.ت.ف. ربما راق لبعض الحكومات، كي يسهل تعاملها مع المنظمة. لكن سحلية ينبه من مغبة تعميم الملاحظات جميعاً على الدول العربية كافة، فقد خلقت حرب العام ١٩٨٢ المتاعب الجديدة لبعضها. فالملك الاردني حسين، على سبيل المثال، خشي من عملية «تجذير» مواطني الضفة الشرقية الفلسطينيين نتيجة لهزيمة منظمتهم في لبنان. ومصر خرجت بمواقف مثيرة، اذ ايدت م.ت.ف. دبلوماسياً، وحاولت ان تدفع الادارة الاميركية نحو الاعتراف بالحقوق الفلسطينية ودور المنظمة. ويقابل سحلية ذلك بالموقف السوري المتردد ازاء دعم او استقبال الفدائيين او تقديم مطالبهم الى المحافل الدولية. واذ يخطىء المؤلف بشيء هنا، فلعل سبب ذلك هو اعتقاده بأن الدبلوماسية العربية سعت جاهدة لاقناع الغرب بالبحث في حلول طويلة الاجل للقضية الفلسطينية، خلافاً لاستنتاجات رشيد الخالدي (مثلاً) في دراسته حول حرب العام ١٩٨٢، التي دانت الدور السلبي لبعض القادة العرب.

يقارن المؤلف المواقف العربية بتلك التي عبرت عنها القوى الخارجية المعنية، فيسأل، اولاً، هل كانت الادارة الاميركية متواطئة في الخطة الاسرائيلية، ام انها كانت تعاني، فقط، من قلة كفاءة؟ ويخلص سحلية الى نتيجة غير مفاجئة، هي ان الولايات المتحدة ادركت اقتراب الهجوم وساعدت اسرائيل في تحقيق بعض اهدافها السياسية؛ لكنه يرى بروز بعض الفروقات في آراء كبار المسؤولين الاميركيين، وخصوصاً ازاء استياء الرأي العام المحلي من اسرائيل واستياء الجمهور العربي من الولايات المتحدة. لكن الادارة الاميركية تجاوزت تلك